الكتابة الأدبية بين هيمنة الذات وسلطة القارئ

Writing between the domination of the self and the authority of the reader

محمد سرير[1]*

[1] جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)، serirmohamed_2017@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/29 تاريخ القبول: 2022/12/25 تاريخ النشر: 2023/01/31

ملخص:

إن الكتابة هي الترجمة المباشرة لما يجيش في نفس الأديب من أفكار، فهو يعمل على رسمها في شكل كلمات وتراكيب ضمن نص منثور ، لتخرج إلى عالم الوجود بعدما كانت مختزنة في ذهن مبدعها، فهي الوسيلة التي يعتمد عليها كل كاتب مبدع أديب في طرح ما يجول في خاطره، والكاتب في البداية يكون تحت تأثير مجموعة من الدوافع الذاتية والموضوعية، يكون القارئ على رأسها، فهو بالتأكيد يحدد قارئا خاصا دون أن يقصي باقي القراء، ليكون في ذلك بين هيمنة للذات التي تريد إثبات نفسها على الساحة الأدبية، وبين سلطة القارئ الذي يحدد مجال النص والموضوعات المعالجة التي يريد قراءتها.

كلمات مفتاحية: كتابة، ذات، هيمنة، سلطة، قارئ.

Abstract:

Writing is the direct translation of the ideas that come into the same literature, where it works to draw them in the form of words and compositions in text published on the pages of paper, to come out into the world of existence after it was stored in the mind of its creator, it is the means on which each creative writer adib depends in putting forward what is on his mind, and the writer at the beginning is under the influence of a set of subjective and objective motives, the reader is at the head of it, he certainly set of subjective and objective motives, the reader is at the head of it, he certainly identifies a special reader without excluding the rest of the readers.

Keywords: Writing, subject, dominance, authority, reader**.**

* **المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

تعتبر الكتابة الترجمة المباشرة لما يجيش في نفس الأديب من أفكار، حيث يعمل على رسمها في شكل كلمات وتراكيب ضمن نص منثور على صفحات الورق، لتخرج إلى عالم الوجود بعدما كانت مختزنة في ذهن مبدعها، فهي الوسيلة التي يعتمد عليها كل كاتب مبدع أديب في طرح ما يجول في خاطره، وهي الحافظة لمنتجاته والتي تسمح باستمراريتها عبر الزمن من جيل إلى جيل، ومن هنا تنتج لنا الإشكالية الآتية: كيف تمت عملية الكتابة الرحلية، وما مدى تكامل العلاقة بين المبدع والقارئ؟.

نفترض أن فعل الكتابة لا يكون عشوائيا بل يخضع لمجموعة من الآليات والدراسات والتصاميم التي تحدد الإطار العام للكتابة، والكاتب في البداية يكون تحت تأثير مجموعة من الدوافع الذاتية والموضوعية، يكون القارئ على رأسها، فهو بالتأكيد يحدد قارئا خاصا دون أن يقصي باقي القراء، هذا هو الهدف من هذه الدراسة التي نروم فيها توضيح صورة الذات ودوافعها للكتابة، كما نوضح صورة القارئ للنص.

الكتابة سفر في الزمان والمكان وآلية للتخاطب المباشر، يحاول الكاتب فيها تمرير رسالة معينة إلى القارئ، كما تعمل على تثبيت الكلام الذي يصبح فيما بعد نصا مفتوحا على مجموعة من الدراسات المتباينة المناهج والأهداف، وقد ارتأينا المنهج الوصفي التحليلي كمنهج أساسي للدراسة دون إقصاء باقي المناهج كالمنهج النفسي والاجتماعي، فالدراسة تحتاج إلى أكثر من منهج لتصل إلى تحقيق الهدف المنشود.

2. الكتابة وهيمنة الذات

تريد الذات أن تثبت نفسها متخذة في ذلك الكتابة سبيلا للإبداع ضمن جنس أدبي معين، تهدف به إلى نقل معارف وأحاسيس إلى الآخر، فلا يمكن للنص الملفوظ أن ينتشر على نطاق واسع، كما لا يمكن لقائله أن يتلفظ به في كل مرة كما تلفظ به أول مرة، في حين بالكتابة يبقى على حاله يمكن الرجوع إليه في أي وقت.

فالنصوص المكتوبة تتميز بنسيجها اللغوي المتسم بالدقة والترتيب المحكم للعناصر اللغوية وللأفكار، لينطبع في صورة متسقة منسجمة، فهذه الميزات وأخرى قد لا نجدها في تلك النصوص الشفوية "فالكتابة مثلها مثل الابتكارات المصطنعة الأخرى، بل أكثر منها بالغة القيمة إلى حد بعيد وأساسية حقا لتحقيق الإمكانات الإنسانية الداخلية الكاملة" (والتر، 1994، صفحة 134)، فالكتابة إعادة تخيل للماضي

وإخراجه في صورة جديدة، على حسب مايراه المبدع خادما لهدفه، باحثا عن تحقيق "الصورة المكتوبة للغة، التي كانت ولا تزال، وستظل ذات أهمية ضخمة للجنس البشري في نقل المعاني من مكان إلى مكان عبر السنين" (باي، 1998، صفحة 60).

بمعنى أن اللّغة المكتوبة هي روح النص والنص هو الجسد الذي يحتويها فيتصور بحسب نظامها ويكتسب هويته من معاني كلماتها، لذا يسعى كل كاتب أو مبدع إلى تشكيل ذلك الجسد في أبهى صورة، حسب مُبتغياته التي يكتب من أجلها والتي يعلم أن سبيل الوصول إليها هو الكتابة رغم صعوبة هاته العملية لِما تتطلبه من جهد وعناء ذهني، "الكاتب الحر هو العالم الحقيقيُّ الذي يضع أمام الناس نتائجَ علمه وثمار بحثه ودروسه فيفيد الأمُّة بجميع مظاهرها مع محافظته على كرامة العلم وحُرمة الأدب، هو يقول قوله وإن كان ذلك معاكسًا لمَيْلِ العامة ومخالفًا لأذواق الأفراد وأهواء ذوي السيادة، مَنْ كَتَبَ للمستقبل لا يجازى على عمله في الحاضر ومن كتب للحاضر فلا يبقى له ذِكْرٌ في المستقبل" (الريحاني، 1982، صفحة 93).

فهو مطالب بالتفكير المستمر عبر جميع عمليات الكتابة التي يمر بها أثناء إنتاجه لعمل ما، وهذه العمليات هي عبارة عن مجموعة من الأفعال الذهنية واللغوية الأدائية التي يمارسها الكاتب لتوليد عدد من الأفكار المرتبطة بموضوع الكتابة، وترجمتها إلى وحدات لغوية في شكل كلمات وجمل وفقرات، مراعيا قواعد الكتابة العربية، وعوامل الإقناع والتأثير في جمهور القراء المستهدفين بالكتابة، من هنا صار لزاما على الكاتب مراعاة كل الظروف المحيطة بحقل الكتابة، ليكون بذلك كاتبا يمثل حقيقة الواقع أو على الأقل يقارب الحقيقة.

1.2 دوافع الكتابة

قد تختلف دواعي الكتابة من كاتب لآخر على حسب السبب الدافع إليها، بل غالبا ما يدفعه دافع يُلح عليه بضرورة الكتابة، من بينها حب الكتابة الذي يسكن العقل ويجعل منها الرفيق والصديق الذي يُباح له بكل ما يجول في الخاطر، وقد يكون الدافع رغبة في إبراز الذات وطرح المشاعر على بساط الكتب، كما تكون الكتابة قناة للتواصل مع أزمنة وشخصيات مختلفة، بغية المحاورة في مواضيع شتى، وهذا ما نجده عند بعض الكتاب في رواياتهم مثل الروايات التاريخية.

هناك من يكتب في موضوع معين بُغية التحليل والشرح والتفسير، وقد يكتب بهدف إثبات حقيقة أو نتيجة ما كإثبات الحقائق التاريخية أو إقناع القارئ وإعلامه

بشيء ما يقول **أمبرت إيكو** بعد كتاباته: "سيدرك القارئ، من خلال هذه النصوص، أن الإبداع الروائي جهد وعناء، وبحث في ذاكرات النصوص السابقة وتجاوز لها، وأن المواقف تصوير لطبائع وتعبير عميق عن حالات إنسانية، سيدرك أن الثورة كشف لحقائق الحياة التي تتوارى خلف جزئيات اليومي والمألوف والروائي الحقيقي لا يشاغب لا يُشاكس ولا يكتب نصوصا ماكرة ولكنه يقدم لنا روايات سيذكرها التاريخ طويلا" (إيكو، 2009، صفحة 15)؛ فالذات تحاول البحث عن حقيقة كينونتها وسط التراكم المعرفي الإنساني، فالذات لا تعرف نفسها إلا إذا قارنتها بما يخالفها وقد يشابهها من ذوات سابقة.

كما نجد من يكتب راويا وساردا حكايات إما حقيقية أو خيالية وربما حكاياته الشخصية لواقع عاشه كالرحالة الذي يلجأ إلى تدوين كل ما صادفه أثناء ترحاله، كما هو الحال في رحلة أمين الريحاني واصفا كل المناطق التي مر بها وما فيها من أهم المعالم المكانية كالأديرة والأنهار والأودية والجبال مقدما شتى المعلومات القيمة حولها، وساردا لقصص عاشها شخصيا وقصصا سمعها ممن التقى بهم وحكايات شهدها لآخرين، كما روى فيها عن مختلف الحروب التي مرت بها بعض المناطق في حقب زمنية ماضية وحكامها وطبيعة سياستهم آنذاك . ولعل دافعه لكل هذا وغيره مما ورد في رحلاته هو جمع المعلومات التي تخص بلده لبنان وإثبات بعض الحقائق التاريخية من خلال التحري عنها في قلب المنطقة وأهلها حيث يقول آلبرت الريحاني الذي جمع تلك الرحلات ونشرها بعد وفاة الأديب أمين الريحاني الذي لم يكن له الحظ الأوفر ليكمل كتابة تلك الرحلات " قد يكون المؤلف قد أراد أن يجمع المعلومات التالية (مساحة لبنان ،طولها وعرضها وعلوها) و (لغات أهل لبنان) و(أسماء لبنان) ويضعها كمقدمة لقلب لبنانه" (الريحاني، قلب لبنان، 1980، صفحة 85)، ونسمي هذا بالدافع الاستكشافي لحقيقة يجهلها الكاتب ويريد أن يتشارك فيها مع القارئ.

كما نجد دافع الاعتراف أو التوبة كاعترافات أوغسطين يقول: "ورحت أجمع الألفاظ بمدلولاتها الصحيحة وأرتبها كلا في محلها، جملا مختلفة وقد تكون مقولة للمرة الثانية، ثم أعبّر عن رغباتي بلسان تعودها واشتركت مع جيراني بتلك العلامات التي تفصح عن مكنونات صدري وولجت المعترك البشري الصاخب معتمدا سلطة والديّ والتنبيهات التي أعطانيها كبار الناس" (أغسطينوس، 1991، صفحة 15)، هذا ما يسمى أيضا بفن السيرة الذاتية التي يحاول فيها الكاتب البوح بمحطات حياته وفق ما يراه مناسبا، وحسب الترتيب الذي يرتضيه لأسلوبه السردي.

ومن الدوافع القوية للكتابة نجد التمرد على مجموعة معينة من العادات والتقاليد، أو القوانين والأعراف، وكثيرا من الكتابات المنثورة على الساحة الأدبية تؤكد هذا الطرح، ويمكننا فهم التمرد على أنه: " تجاوز الواقع إلى واقع أفضل من الذي يعيشه « إنّنا نجد نفس فكرة الحدّ في إحساس التمرد بأنّ الإنسان الآخر يبالغ وأنّه يبسط حقه ويجاوز الحدّ الذي اعتبارا منه يجابهه ونجده حتى آخر، فحركة التمرّد تستمد إذن في نفس الوقت إلى رفض قاطع لتعد لا يطاق وإلى يقين مبهم بوجود حق صالح وبصورة أصح إلى اعتقاد المتمرّد أنّ له الحق» (كامو، 2014، صفحة 22)

فإذا ما جئنا وتمعنا في هذه المقولة نجد أنّها تبين أنّ الإنسان الطبيعي السوي وغير السوي له انطباعات وسلوكات يتحلى بها، تجعله يتميز عن باقي الكائنات الأخرى سواء كانت سلوكات حسنة أو سيئة فنأخذ مثلا الإنسان المتمرد أو بالأحرى الإنسان العنيد فنجده بطبعه إنسان متعصب لرأيه ومتشدد سواء كان هذا خطأ أم صواب تراه إنسان خارج عن السلطة وكذا عن القيم والقوانين والعقائد والضوابط المحددة والمتعارف عليها متمسك يملك الرفض السلبي ب "لا" التي لا يكاد تنفلت من لسانه فهو متمرد على الانتقادات البناءة التي لا تهدم كونه إنسان وإن أخطأ فهو غير مكترث لهذا و" اللا " تجعله يرفض ما هو حق وصواب ويحدّد الخطأ برفضه له، فهو بذلك يصنع عالمه الخاص به.

2.2 أهداف الكتابة

الكتابة بشكل عام وسيلة لعرض ما يجول في النفس من خلالها يتمكن الكاتب من تثقيف وترفيه القراء في مختلف المجالات، وإعلامهم بأهم أحداث العالم الخارجي المحيط به، فتختلف الأغراض وفقًا لأنواعها المتعددة مثل الرحلة، كما تعتبر أيضا وسيلة للربط بين ماضي الأمة وحاضرها.

قد نلمس في الكتابة الرحلية وحتى الروائية بحث الكاتب عن ذاته لذا نراه يعرض الكثير من الآراء والمواضيع والمواقف والمشاهد لكنه لا يظهر ميله الحقيقي لأي منها، وكأنه يريد من القارئ أن يكتشف شيئا ما، كما يؤكد إن ذاته لازالت حائرة في كثير من الأحكام والمواقف الإنسانية "إن الذات وهي تكتب إنما تفعل ذلك لكي تدل على كل ماهو مفقود منها، وبذا فهي لا تدل إلا على ما هو سواها وما هو غيرها، وكأنما الذات هنا تنفي نفسها من خلال الكتابة مثلما انها تنفي الآخر بتجاوزها له" (الغذامي، 1991، صفحة 08).

هي الذات تحاول فهم ما يحيط بها من متغيرات، لتأتي الكتابة محاولة الإجابة عما غاب عنها، وبذلك تعتبر الرحلة مصدرا ثريا تستفيد منه مختلف العلوم باعتبارها شريط تسجيل وثائقي حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، فالرحالة وهو يجوب الأرض يسجل ملاحظاته المختلفة لمظاهر الحياة التي يشاهدها أو يسمع عنها وينقلها في رحلته، "فأدب الرحلات يهتم بعملية المثاقفة والصراع القيمي الذي يحدث داخل عقل المرتحل، وبالأسئلة التي تلمع في ذهنه أثناء مشاهداته وتأملاته حياة الشعوب الجديدة وعاداتها بالنسبة إليه، بحيث لا تتحدد ماهية كتب الرحلات بصفتها كتبا جغرافية أو تاريخية، بقدر ما تتحدد بصفتها كتبا علمية تأملية فلسفية وأنثروبولوجية" (التنيلاتي، 2015، صفحة 10).ولا شك أن الرحالة يختلفون كما جاء في التعريف في ملاحظاتهم وتصويرهم للأماكن والمشاهد كما يختلفون في صدقهم وأمانتهم في نقل مشاهداتهم وأخبارهم.

ويتطرق الرحالة في رحلته إلى عرض كل جوانب الحياة من عادات وتقاليد وغرائب شاهدها، فهي مصدر تستقي منه مختلف العلوم، فهذا التنوع في الهوية الثقافية والاجتماعية للرحالة المؤلف ما بين أديب ومؤرخ وجغرافي وسائح وسفير وغيرها من الصفات التي تطبع هوية النص الرحلي، وتندرج تحت أي نمط من الكتابة أهداف يرمي إليها المنتج يخاطب بها المتلقي ويسعى لإيصالها له بطريقة معينة فيستعمل لذلك مهاراته اللغوية والفكرية للوصول إلى المبتغى من إنتاجه فنجد الإقناع والتأثير في الآخر، وإثبات الذات.

1.2.2 الإقناع (الكتابة الإقناعية):

يمكننا الجزم بأن أول هدف للكتابة هو الإقناع فالمبدع دوما له رسالة يحاول ايصالها للقارئ، كما يحاول التأثير عليه بطريقة ما، وفي كثير من الأحيان يستعمل الحجة على ذلك ومثال ذلك نجد روسو يقول في آخر اعترافاته: "إنما قلت الحق، فإن عرف أحد أشياء تناقض ما عرضت، فإنما يعرف أكاذيب وافتراءات، ولو قام عليها ألف دليل..وإذا هو أبى أن يتحرى صحتها، وأن يمحصها معي، وأنا بعد على قيد الحياة، فهو لا يحب العدالة ولا الحقيقة، أما أنا فإنني أعلن بصوت عال، ودونما خوف أن أي امرئ يستطيع –ولو لم يقرأ مؤلفاتي- أن يصدقبعد أن يتبين بعينيه طباعي، وخلقي، ومسلكي، وميولي، ومسراتي، وعاداتي أنني رجل عديم الشرف والاستقامة .. فإنما هو رجل جدير بأن يخنق" (روسو، 1998، صفحة 475)

يتبع روسو في اعترافاته أسلوب الإمتاع، وذلك بأن يحمل إلى القارئ أخبارا من الماضي تجعل هذا الأخير يشعر بالدهشة وتبعث فيه التشويق للقراءة لذا نجد الكاتب يعتمد على أكثر من أسلوب "وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنه يراها رأي العين" (طه، 2000، صفحة 38).

ومن هذه المفاهيم يظهر جليا أنه لا يخلو أي خطاب من الإقناع فهو يعتبر استراتيجية من استراتيجيات تحقيق الذات لما يهدف للوصول إليه ويشترط في الخطاب الإقناعي جملة من الشروط تخص أطراف العملية التخاطبية ، الباث ، والمتلقي ،فيجب على المُقنِع أن يمتلك كفاءة تواصلية وإقناعية لكسب تأييد المتلقِّين لرأيه وما يعرضه عليهم.ونجد أن مصطلح الاقناع كبنية تخاطبية يتداخل مع مجموعة من المصطلحات اللسانية التواصل ،التصديق،الحوار وغيرها وأهم ما يهمنا في هذا علاقة الاقناع والحجاج الذي هو مرتبط به أساسا فالنص الرحلي يعتمد في الغالب على الاقناع والحجاج لإثبات الباث وجهة نظره وترسيخ فكرته في ذهن المتلقين على اختلاف مستوياتهم الفكرية ، فالحجاج بمعناه العادي يعني "طريقة عرض الحجج وتقديمها ، ويستهدف التأثير في السامع ...فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه " (الحباشة، 2008، صفحة 21)

تعمل الذات الكاتبة على محاولة فهم الآخر بما يتوفر لها من معطيات ومعارف، وهي في نفس الوقت تحاول فهم ذاتها العميقة، التي كثيرا ما وجدت نفسها داخل متناقضات وواقع لا تريده كما هو، بل تريد أن تعيش في واقع يوافق أفكارها ومتطلباتها الإنسانية والاجتماعية، وما نراه في كتابات المبدعين أمثال محمود درويش والسياب ونجيب محفوظ والأعرج، لهو خير دليل على أن الكتابة محاولة رسم واقع يوافق الذات ومحاولة لإقناع القارئ بما يريد وفق آليات واستراتيجيات خطابية خاصة.

.

2.2.2 التأثير (الكتابة الإبداعية):

إن عملية التأثير نجدها موجودة ومتبادلة بين الأدباء وذلك على مستوى النصوص وهذا ما يظهر جليا في النصوص التاريخية والقديمة ومثال ذلك النص القرآني الذي نجد أثر على الشعراء والكتاب بمختلف أمكنتهم وأزمنتهم، كما نجد تأثير الإنسان على الإنسان ويدوم هذا التأثير لزمن طويل "وأحيانا يمتد الأثر قرونا عديدة مثل شيشرون الخطيب والمفكر الروماني، الذي لا يزال يباشر تأثيره على خطباء ومفكرين وسياسيين حتى يومنا هذا، في معظم اللغات الحية سواء في التفكير او الكتابة" (راغب، 1996، صفحة 12).

كما نجد من أوجه التأثير مخاطبة القارئ بما لا يتوقعه وخلق خطاب تخيلي يبث في القارئ نوعا من الدهشة ويجعله يعيش في حقل اللامألوف لأن"الكتابة الإبداعية تتضمن الخيال، وتعني الابتكار في الشكل والمضمون وأن الوظيفة الرئيسية لهذه الكتابة ليست مجرد نقل الحقائق او المعلومات، بل هي أن تمنح القارئ والجمهور الجمال عن طريق الخيال" (خصاونة، 2008، صفحة 59).

وكلما تعامل القارئ من اللامألوف ازداد نهمه للقراءة، وزادت متعته، وما ذيوع وانتشار حكايات ألف ليلة وليلة إلا دليل واضح على التأثير الكبير في القراء، وكذا كتب الرحالة والأسفار التي تعكس تجارب الناس وأخبارهم.

3. سلطة القارئ:

يضع الكاتب نصب عينيه القارئ المستهدف من القراءة، فيكون هو الموجه للكتابة كما أنه يريد قارئا معينا، فهو يريد قارئا فطنا وناقدا متمرسا، فالنص الذي لا يجد قارئا جيدا قد لا يحظى بحياة طويلة، واستمرارية النص وديمومته متعلقة بطريقة قراءته.

1.3 القارئ العام:

ونقصد به القارئ الذي يريد قراءة أي نص مهما كان جنسه العلمي والأدبي، ويمكننا القول أن هذا القارئ متواجد بنسبة كبيرة، فكثير من الناس يقرأ كتب مختلفة لكن هذا القارئ قد يحبذه كثيرا الكاتب، لأنه لا يستطيع الوصول إلى حقيقة ما يريد، لكن القارئ العام يبقى قارئا مطلوبا فهو يحقق نسبة مقروئية هامة في المجتمع، وهكذا يستطيع التقدم في القراءة حتى يحقق مستوى لا بأس به، "وتعد القراءة منذ القدم أهم ما يميز الإنسان من غيره من أفراد المجتمع، بل هي من أهم المعايير التي تقاس بها

المجتمعات تقدما او تخلفا، ولا نعني بالإنسان القارئ هنا الذي يعرف القراءة والكتابة فحسب، بل الذي يحب القراءة ويقبل تلقائيا عليها بل يكاد يفضلها على طعامه وشرابه، لأنها غذاء عقله، ونور بصيرته" (الصوفي، 2007، صفحة 32).

وإذا ما رجعنا إلى الكتب الأدبية لوجدنا الكثير منها يطرح على طاولة القراءة، لكن يبقى للذوق الأثر البالغ في القراءة، فكل قارئ يجد لذة في قراءة نص ما وقد ينفر من نص آخر، كما نجد العامل النفسي يلعب دورا كبيرا في هذا المجال، ضف إلى ذلك المرجعية الثقافية للقارئ التي تحدد طبيعة النص المقروء وكيفية قراءته، ويعرف الذوق على أنه "استعداد خاص يهيء صاحبه لتقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما يستطيع في أعماله، وأقواله وأفكاره، فمن كان لديه ذوق أدبي راق كان لديه استعداد لتقدير الأدب حق قدره، وإدراك ما فيه من جمال، والاستمتاع بهذا الجمال الأدبي، وللشعور بالسرور واللذة عند إدراكه، ومحاكاة ذلك الجمال في أقواله وأفكاره" (حامد، 1949، صفحة 145).

هناك علاقة بين المبدع والقارئ العام، وكثيرا ما نجد المؤلف يخاطب هذا القارئ الذي يدرك أنه يفهم المعنى العام من النص، ويحثه على القراءة، وهذا ما نجده في القرآن الكريم فالكل يقرأ وينتفع حسب ما تتوفر لديه من مؤهلات القراءة والفهم، وكذا الحال ينطبق على الخطاب الأدبي في الرواية والقصة والشعر والمقامة وغيرها، نجد القارئ يقرأ وهناك من يحفظ مثلا قصيدة البردة للبوصيري، ويقرأأشعارا أخرى ويكون فهمه على حسب إدراكه، وقد يكون التأثيرا متفاوت بين قارئ وآخر.

2.3 القارئ المتخصص:

هذا القارئ الذي نستطيع أن نسميه بالناقد، هو من يستطيع فهم أغوار النص وربطه بمختلف جوانبة الخارجية والداخلية، وما المناهج المطروحة على الساحة النقدية ماهي إلا انعكاس لصورة القارئ المتخصص، الذي يعمل على تفسير الظواهر الخفية للنص ومحاولة اكتشاف ما غاب من النص وقراءة ما بين السطور، ليصل إلى مرحلة التأويل الذي يعد "طريق كل عقل في تعامله مع النص وفي قراءته لتاريخه، وبالتأويل يسبر المؤول بعدا مجهولا في النص، ويكشف دلالات ما اكتشفت من قبل،

ويقرأ في الأصل ما لم يقرأه سلفه، فيعقل ما لم يعقل ويولد المعنى من حيث يظن اللامعنى، ويستنبط المجهول من المعلوم" (حرب، 2007، صفحة 14).

فالقارئ المتخصص والذي يمكننا أن نسميه بالقارئ المنوذجي الذي يريد الكاتب محاورته أو على الأقل يريد أن يبث فيه روح المنافسة العلمية المبنية على تراكمات معرفية سابقة لكل منهما، والنص القائم بينهما يشكل لكليهما مصدرا معرفيا يتشارك فيه كليهما، فالأول يكتب باحثا عن عما خفي ليظهره للقارئ بطريقة معينة قد يتخللها الغموض والإبهام، والثاني يقرأ لينتج أفكار من هذا الغموض أو الرمز ليعطي بذلك نصا جديدا بمفهوم جديد، "إن هذا التفاعل، وهذه الرغبة في التأثير، هي المحور الذي تدور عليه جل نظريات القراءة والتلقي، فالنص الأدبي الذي نقرأ ينبغي إدراكه باعتبار خطابا للمؤلف يذهب إلى غزو خطاب القارئ وعوالم معتقداته، وكل واحد منهما يبحث عن التأثير في الآخر، ومن خلال هذا التبادل والتفاعل يصبح لدينا نص الكاتب ونص القارئ، فنص الكاتب معطى ونص القارئ بناء، النص بصفة عامة "آلة كسولة" على حد تعبير أمبرتو إيكو يشغلها القارئ" (فانسون، 2016، صفحة 8)، فالنص يتجدد بالقراءة ويستمر بها ليشغل منزلة هامة عبر الزمان، ولكل نص حداثته تتجدد بتجدد أفكار القارئ.

وكثيرا ما يقال بأن المؤلف قد يكون هو القارئ الأول لنفسه، لكنه لا يصرح بذلك في كثير من الأحيان، وأحيانا أخرى نجد هذا التصريح حين يتكلم عن إعادة الصياغة وتغيير عنوان الكتاب والتغيير في خطته، كما يتحدث عن مقاصده وطريقة الكتابة، التي يراها توافق ذوق القراء، وقد يخرج عن المألوف ليحقق بذلك تميزا عن السابقين، وهو في كل هذا ناظر للنص ومستقبل له، وبهذا يصبح المؤلف قارئا لعمله ويصبح القارئ المتخصص الذي جعل من نفسه مؤلفا وقارئا في الآن ذاته.

3.3 القارئ الضمني:

هو القارئ الذي يحاول الكاتب الوصول إليه، وهو المقصود بالكتابة ولا يستطيع الكاتب الهروب منه، حتى إننا يمكننا القول بأنه المقصود الأول من الكتابة فلولاه ما كتب النص، هو القارئ الذي يستطيع فهم وقراءة كل ما خفي عن باقي القراء، نستطيع القول أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام هو القارئ الضمني للخطاب القرآني، ولا يوجد شخص آخر يمكنه فهم النص القرأني وقراءته كما يقوم بذلك النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

فالقارئ الضمني "مجسد كل الإستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره وهي استعدادات مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي تجريبي، بل من طرف النص ذاته، وبالتالي فالقارئ الضمني كمفهوم له جذور متأصلة في بنية النص إنه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قارئ حقيقي" (إيزر، 1987، صفحة 30).

إن فعل الكتابة يتطلب مجموعة من العناصر البنائية، والقارئ الضمنى هو عنصر منها، فالرواية مثلا نجد لكاتبها قارئا ضمنيا قد عمل الكاتب على توجيخ الخطاب إليه، وهو الذي يستطيع فهم قصد الكاتب، وهنا قد يتعمد الكاتب توظيف الرمزي والأسطوري، الذي يجده القارئ العادي أمرا يستعصي الفهم وقد لا يستطيع وضع خيوط تربط بين العلامات الدالة للنص، إلا أن القارئ الضمنى يصل إلى هذه الخيوط ويعمل على قراءة النص قراءة تأويلية لمدلولات الخطاب.

وإذا ما أملنا النظر إلى الخطاب الصوفي لوجدنا فيه كثيرا من الرموز والإشارات التي لا يستطيع قراءتها إلا القارئ الضمنى التي تتوفر له ثقافة تلم بجميع جوانب متغيرات الخطاب الصوفي، "فالقراءة –من حيث هي فعل- تتحقق في الحاضر بكل ما تعنيه الكلمة من وجود ثقافي تاريخي أديولوجي ومن أفق معرفي وخبرة محددين، ومعنى ذلك أن أي قراءة لا تبدأ من فراغ، بل هي قراءة تبدأ من طرح أسئلة تبحث لها عن إجابات، وسواء كانت هذه الأسئلة التي تتضمنها عملية القراءة صريحة أو مضمرة، فالمحصلة في الحالتين واحدة وهي أن طبيعة الأسئلة تحدد للقراءة آلياتها" (أبوزيد، 2014، صفحة 6).

إن عملية القراءة تأخذ مسارات متباينة، يخضع لها المبدع، الذي يراعي مراتب القراء، فالدافع الأول للكتابة هو إمتاع ومنفعة القارئ بصفة خاصة، ومنفعة الإنسانية بصفة عامة، من هنا تتجلى سلطة القارئ التي تعد المحور الأساسي في العملية الإبداعية، فلولا القارئ لما هم الكاتب بالكتابة، كما تعد هذا الأخيرة هي السبيل الأهم في تطور المجتمع والرقي به لأنها تحمل في طياتها عوامل الحضارة من علم وعمل به، وهي التي تضيء للجميع طريق بناء هذه الحضارة، كما نجد عامل فهم الآخر الذي يعد أيضا متلق وقارئ دافعا قويا للكتابة، له أيضا سلطة القارئ الذي يرى كيف تم وصفه وما الصورة التي تم تركيبها وما هي الإديولوجية التي تم دراسته بها.

إن المبدع يعتمد على تجربته في الحياة وعلى المؤثرات التي ساهمت في تكوينه، وهو ينطلق منها ليخلق لنا نصا تجتمع فيه مجموعة من الخبرات، يحاول فيها فهو ذاته من خلال محاورته للآخر، ومن خلال فهم نواميس الحياة "إن التجربة الذاتية هي أساس المعرفة، وهي الشرط الذي لا يمكن تجاوزه لأي معرفة وطالما أن هناك مشتركا بين الآحاد من البشر، فإن التجربة تصبح هي الأساس الصالح لإدراك الموضوعي القائم خارج الذات" (أبوزيد، 2014، صفحة 25).

ومن تجارب الحياة نجد قراءات النصوص السابقة التي تعبر عن المحتوى العلمي للحضارات السابقة وللتجارب الإنسانية التي عاشها الفرد وفق ما توفر له من أليات اجتماعية ونفسية ودينية، ليأتي الإنسان المعاصر ويعمل على قراءة التراث وفهم هذه التجارب، وهو بذلك يحقق غايتين غاية العلم والمعرفة، وغاية التمتع بالقراءة عن الماضي التي بلا شك تسد ثغرة في نفسه تتصل في حب معرفة الآخر وكيف سار مع متغيرات الطبيعة، لتصبح عملية التلقي "مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقي والعمل، إن عملية التلقي تفتح لنا عالما جديدا وتوسع من ثم أفق عالمنا وفهمنا لأنفسنا في نفس الوقت" (أبوزيد، 2014، صفحة 39).

إن تجربة القراءة تفتح بابا واسعا بين بني البشر فيعمل الواحد على فهم الآخر وتقبله بمختلف مزاياه المختلفة، ولا زلنا نرى النصوص بمختلف تخصصاتها تنتقل من قارئ لآخر ومن زمان لآخر، كما لا ننسى دور الترجمة وما تقوم به من نقل للخبرات والتجارب والمعارف من زمن لآخر، خاملين على تحقيق معرفة إنسانية شاملة.

4. خاتمة:

إن الكتابة تجربة إنسانية عرفها البشر منذ زمن بعيد، وقد عرفت عند كل شعب بشكل معين، فقد كتب الإنسان على الحجر وعلى جلود الحيوانات، حتى وصل إلى الكتابة على الورق، وقد مثلت الكتابة الوعاء الثقافي الذي يحوي كل الثقافات البشرية عبر مر العصور، كما أنها مثلت الذات الإنسانية في مختلف متغيراتها النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وقد عمل المبدع على تتبع الحالة الراهنة للمجتمع ليكتب لنا عما يخالج نفسه، فحققت الذات بذلك هيمنة على الكتابة.

وعلى صعيد آخر نجد سلطة القارئ التي لا تنفك تبتعد عن ذات المبدع، والتي تعطي نفسا جديدا للنص، كما تعتبر الدافع الأول على الكتابة، فهي التي تمنح للنص

ديمومة واستمرارية بفعل ممارسة القراءة، ولكل قراء نمط خاص بها من القراء، فتجد القارئ العام والمتخصص والضمني، لتبقى القراءة بذلك السبيل الوحيد لتحقيق التواصل الإنساني، بفضل تبادل المعارف والخبرات على مختلف تخصصاتها.

كما نجد الكتابة ترتبط بمجموعة من المتغيرات الانسانية، لذلك نجد هذه الأخيرة تتغير من جنس أدبي لآخر، كما نجد دوافع الكتابة هي من تحدد الجنس، وتحدد طبيعة الكتابة التي نراها تتراوح بين الواقعي والخيالي، وبين الحقيقة والتماهي والغموض، لتبقى بذلك الكتابة سر يختبئ داخل الذات الانسانية، يتجلى حسب ما تسمح به الذات وسط واقعها وخيالاتها.

5. قائمة المراجع:

1 أغسطينوس. (1991). *اعترافات القديس اغسطينوس* (الإصدار ط.4). (الخوري يوحنا الحلو، المترجمون) بيروت: دار الشروق.

2 ألبير كامو. (2014). *الانسان المتمرد*. (تهاد رضا، المترجمون) القاهرة: دار الحرية للنشر والتزريع.

3 الشيخ عبد الرحمن بن ادريس التنيلاتي. (2015). *الرحلة*. (خير الدين شترة، المترجمون) بوسعادة الجزائر: دار كردة للنشر والتوزيع.

4 أمبرتو إيكو. (2009). *آليات الكتابة السردية (نصوص حول تجربة خاصة)*. (سعيد بنكراد، المترجمون) اللاذقية، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

5 أمين الريحاني. (1982). *الريحانيات*. بيروت: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.

6 أمين الريحاني. (1980). *قلب لبنان* (الإصدار ط.1). (أمين ألبرت الريحاني، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع.

7 أونج والتر. (1994). *الشفاهية والكتابة*. (حسن البنا عز الدين، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

8 جان جاك روسو. (1998). *اعترافات*. (حلمي مراد، المترجمون) بيروت: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع.

9 جوف فانسون. (2016). *القراءة* (الإصدار ط.1). (محمد ايت لعميم، شكير نصر الدين، المترجمون) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

10 رعد مصطفى خصاونة. (2008). *أسس الكتابة الابداعية* (الإصدار ط.1). الاردن: عالم الكتب الحديث.

11 صابر الحباشة. (2008). *التداولية والحجاج مداخل ونصوص* (الإصدار ط.1). دمشق: صفحات للدراسات والنشر.
12 عبد الرحمن طه. (2000). *في اصول الحوار وتجديد علم الكلام* (الإصدار ط.1). بيروت: المركز الثقافي العربي.
13 عبد القادر حامد. (1949). *دراسات في علم النفس الأدبي*. المطبعة النموذجية.
14 عبد اللطيف الصوفي. (2007). *فن القراءة واهميتها مستوياتها مهاراتها انواعها* (الإصدار ط.1). دمشق: دار الفكر.
15 عبد الله محمد الغذامي. (1991). *الكتابة ضد الكتابة* (الإصدار ط. 1). بيروت: دار الآداب.
16 علي حرب. (2007). *القراءة والحقيقة قراءات تاويلية في الثقافة العربية*. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
17 فولفغانغ إيزر. (1987). *فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب*. (حميد لحميداني، المترجمون) الدار البيضاء: مطبعة الأفق -والمناهل-.
18 ماريو باي. (1998). *أسس اللغة* (الإصدار ط. 8). (أحمد مختار عمر، المترجمون) القاهرة: عالم الكتب.
19 نبيل راغب. (1996). *موسوعة الابداع الأدبي* (الإصدار ط.1). لونجمان مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.
20 نصر حامد أبوزيد. (2014). *اشكاليات القراءة واليات التاويل* (الإصدار ط.1). الدار البيضاء: المكز الثقافي العربي.